

صديقي المستمع، مازلنا نتابع دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد أكد في القسم الذي درسناه حتى الآن على نزاهة وعدالة دينونة الله، وشمولها كل من يخطئ بدون استثناء، أي شمولها فئة الوثنيين، وفئة المتدينين من اليهود الذين يدعون معرفة الله. وجادل الرسول بولس في الأعداد التي درسناها المرة الماضية فئة المتدينين من اليهود، وكيف أن أفعالهم تتناقض معرفتهم بشريعة الله، وتعاليمهم التي يعلمون بها الناس.

ولقد وصلنا في دراستنا إلى نهاية العدد الرابع والعشرين من الأصحاح الثاني. حيث قال الرسول بولس عن المتدينين من اليهود: "لأن إسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم كما هو مكتوب." أي أن النتيجة كانت استهزاء الوثنيين بالله، بسبب التناقض الواضح بين ما ينادي به هؤلاء المتدينون اليهود وأفعال الشر التي يمارسونها. وبتعبير آخر لم يعد لتدينهم أي معنى.

ثم تابع الرسول بولس نقاشه لهؤلاء اليهود فقال في العدد الخامس والعشرين: "فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس. ولكن إن كنت متعديا بالناموس فقد صار ختانك غرلة." أظن أنه علينا أن نشرح للمستمعين أولاً عن الختان وماذا يعني بالنسبة للديانة اليهودية. معك حق. إن الختان هو التطهير. وهو من الشعائر المعروفة في اليهودية. وتقضي الشريعة اليهودية بقطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام. وقد بدأ هذا الطقس منذ إبراهيم الخليل، إذ جعله الله علامة عهد بينه وبين إبراهيم. وفعلاً أختتن إبراهيم هو وأهل بيته وعبيده الذكور. ثم تجددت شريعة الختان للنبي موسى كليم الله.

وكان اليهود يتمسكون بهذه الفريضة ويمارسونها باستمرار. واعتبر الختان فرضاً دينياً للتمييز بين اليهود وباقي الشعوب. وكان للختان معنى روحي وهو تكريس الجسد بالكلية لله، والتمسك بشرائعه، والعمل بموجب فرائضه. ولهذا كان اليهود يدعون أنفسهم بأهل الختان، ويدعون الآخرين بأهل الغرلة. أي تماماً كما ذكر الرسول بولس في العدد الذي قرأناه قبل قليل، أن الختان لكي يكون مجدياً ونافعاً يجب أن يترافق مع العمل بالناموس، وإلا أصبح بلا معنى. طبعاً إن المقصود بالناموس هو شريعة الله. لكن الرسول بولس ذهب أبعد من ذلك إذ اعتبر أن اليهودي الذي يكسر شريعة الله ولا يعمل بها، يصبح ختانه لاغياً. أي يكون كغير المختون سواء، ويصير ختانه غرلة. لنسمع مرة أخرى أعزائي ما قاله الرسول بولس: "فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس. ولكن إن كنت متعديا بالناموس فقد صار ختانك غرلة."

وتابع الرسول بولس في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الثاني قائلاً: " إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تُحسب غرلته ختانا." أي أراد الرسول بولس القول: إذا صح أن اليهودي الذي لا يعمل بشريعة الله يصبح ختانه لاغياً، فإن العكس هو صحيح أيضاً. أي أن الشخص الأممي غير المختون، إذا سلك بموجب شريعة الله يعتبر مختوناً. أي يعتبر مختوناً بالنسبة لله. لأن الرسول بولس مازال يناقش هنا موضوع دينونة الله العادلة التي يجب أن تقع على كل من يخطئ، بغض النظر إن كان يهودياً أم أممياً وثنياً.

هذا بالضبط تماماً، لأن الأعداد التالية تؤكد ما ذهبنا إليه. إذ تابع الرسول بولس فقال: " وتكون الغرلة التي من الطبيعة وهي تكمل الناموس تدينك أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس." إن الغرلة هي عدم الختان. والأغرل هو الشخص غير المختون. إن الإنسان الذي يكون في حالة الغرلة ويعمل بما جاء في شريعة الله، يتحدّى بموقفه هذا لا بل يدين اليهودي المختون. والسبب واضح وبسيط كما بينه لنا الرسول بولس، لأن اليهودي قد تعدى أو كسر شريعة الله بأعماله الشريرة. بالرغم من أنه مختون ويدعي معرفة شريعة الله كما جاءت في التوراة.

وختم الرسول بولس مناقشته هذه بآية ذهبية هامة إذ كتب في العدد الثامن والعشرين قائلاً: " لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانا." من المهم جداً التأكيد على هذه الحقيقة، أنه بالنسبة لله ليس مهماً الإسم ولا المظهر. فكون الإنسان يهودياً وكونه مختوناً في اللحم لا يعني شيئاً بالنسبة لله. لكن ما هو المطلوب يا ترى؟

لقد أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال عندما كتب في العدد الأخير من الأصحاح الثاني يقول: " بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان. الذي مدحه ليس من الناس بل من الله." هنا بيت القصيد إذن. إن المهم بالنسبة لله الآن هو من يعمل مشيئته ويسلك بحسب إرادته. ومن يكون ختانه ختانا روحياً وفي القلب، وليس ختانا جسدياً بحسب وصية الشريعة الكتابية. والذي يكون مدحه أيضاً من قبل الله وليس من الناس، إذ المهم أن ألقى قبولاً ورضى لدى الله. لأن مدح الناس لن ينقذني من دينونة الله العادلة.

مستمعي العزيز، لعل السؤال الآن: كيف يمكن للإنسان أن يختن قلبه روحياً؟ لقد سبق للرسول يوحنا أن أجابنا عن هذا السؤال في بشارته عندما كتب قائلاً: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله. أي المؤمنون باسمه." إذن إن قبول المخلص يسوع المسيح، هو الذي يختن قلب الإنسان روحياً ويجعله من أولاد الله. أي أن عملية ختان القلب بالروح تحصل بالإيمان القلبي الصادق بشخص المخلص المسيح.

ولنلاحظ أيضاً أن البشير يوحنا تابع كلامه فقال عن هؤلاء المؤمنين: " الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله." (بشارة يوحنا ١: ١٢ و ١٣) أي تماماً كما ذكر الرسول بولس في رسالته إلى رومية التي ندرسها. إن المهم عند الله هو ختان القلب بالروح. وليس كون الإنسان يهودياً أو من أي دين أو مذهب معين أو طائفة ما. وليس هذا فحسب، بل إن الله نفسه يجري عملية الختان. إذ كما قال البشير يوحنا أن هؤلاء المؤمنين لم يولدوا من نسل معين ولا من مشيئة إنسان بل قد ولدوا من الله. وكما أوضح الرسول بولس أيضاً فإن ممارسة الإنسان لشعائر معينة، لا يجعله مقبولاً لدى الله. إذ يكون كاليهودي الذي إختتن ويعرف عن شريعة الله، لكنه يفعل الشر والإثم وكل ما هو مخالف لهذه الشريعة.

فهل ترغب صديقي المستمع أن يختن الله قلبك بروحه القدس؟ وأن تصبح من أولاده؟ تعال إذن بتوبة صادقة وإيمان قلبي بالمخلص يسوع المسيح، وبعمله الكفاري من أجلك على الصليب. وعندها تصبح خليفة جديدة وتسلك في طريق الصلاح والبر.